مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٩) العدد (٤)
الإصدار الرابع والثلاثون
٢٠٢٦ (١-٧)

أسباب سقوط وانهيار الحضارات والممالك الإسلامية في وسط إفريقيا سلطنة وداي م1910 – م1909 نموذجاً

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. محمد زين سليمان
أستاذ التاريخ، جامعة انجامينا، جمهورية تشاد

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ أبريل ٢٠٢٦م

الملخص

تتناول هذه الدراسة أسباب سقوط سلطنة وداي الإسلامية في وسط إفريقيا خلال (1909-1910م)، الفترة باعتبارها نموذجًا لانهيار الممالك الإسلامية في تعتمد. المنطقة الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لتتبع التفاعل المعقد بين العوامل الصراعات) الداخلية، السياسية التدهور، الاقتصادي الضعف العسكري والعوامل (والإداري التدخل) الخارجية الاستعماري، الفرنسي التحولات توصلت. (الجيوسياسية الدراسة إلى أن الانهيار لم يكن نتيجة سبب، واحد بل لحظة تلاقت فيها الأزمات الداخلية مع الهجمة الاستعمارية المدعومة بالتفوق العسكري، والتكنولوجي مما أدى إلى تفكك البنى السياسية كما. التقليدية تؤكد الدراسة استمرار الإرث الحضاري والديني للسلطنة في المجتمعات المحلية رغم زوال كيانها. السياسي

الكلمات المفتاحية: سلطنة، وداي الممالك، الإسلامية الاستعمار، الفرنسي وسط، إفريقيا أسباب الانهيار.

Abstract

This study examines the causes of the fall of the Islamic Sultanate of Wadai in Central Africa during the period (1909-1910 CE), as a model for the collapse of Islamic kingdoms in the region. The study employs the analytical historical method to trace the complex interplay between internal factors (political conflicts, economic deterioration, military and administrative weakness) and external factors (French colonial intervention, geopolitical shifts). The study concludes that the collapse was not the result of a single cause but rather a moment where internal crises

converged with the colonial onslaught, supported by military and technological superiority, leading to the disintegration of traditional political structures. The study also confirms the persistence of the Sultanate's civilizational and religious legacy within local communities despite the demise of its political entity.

Keywords: Wadai Sultanate, Islamic Kingdoms, French Colonialism, Central Africa, Causes of Collapse.

*** مقدمة**

شهدت منطقة وسط إفريقيا قيام عدد من الحضارات والممالك الإسلامية التي لعبت أدوارًا محورية في نشر الإسلام وترسيخ القيم الثقافية وتنمية النشاط الاقتصادي .والاجتماعي ومن أبرز هذه الكيانات سلطنة ،وداي التي برزت كقوة إسلامية ذات سيادة ونفوذ واسع لعدة غير .قرون أنها تعرضت في مطلع القرن العشرين لسقوط مفاجئ كان له ما بعده على المستوى الإقليمي.

تتناول الدراسة تحليلاً علميًا لأسباب سقوط سلطنة وداي م1909 بين ،م1910و باعتبارها نموذجًا لفهم التحديات التي واجهت الممالك الإسلامية في وسط .إفريقيا ويركز على السياقات التاريخية والسياسية والاقتصادية والعسكرية التي ساهمت في تفكك السلطة المركزية وتمهيد الطريق أمام الهيمنة الاستعمارية كما .الفرنسية يسعى إلى تقديم رؤية متكاملة لفهم ديناميات ،الانهيار والكشف عن التفاعلات بين الضعف الداخلي والضغوط .الخارجية

*** أهمية الدراسة**

تنبع أهمية الدراسة من كونها تتناول حقبة تاريخية حرجة كثيرًا ما أُهملت في الدراسات تسهم .التقليدية في سد فجوة معرفية في مجالي الدراسات الإفريقية ،والإسلامية وتقدم تحليلاً لبنية الدولة الإسلامية التقليدية وأسباب ،ضعفها وتُظهر تأثير المتغيرات الاستعمارية في تفكيك الكيانات السياسية كما .المحلية تشكل مرجعًا للباحثين وطلبة الدراسات العليا المهتمين بتاريخ إفريقيا والهوية .الإسلامية

*** أهداف الدراسة**

١- دراسة الخلفية التاريخية لسلطنة وداي من حيث النشأة والتطور السياسي والديني.

٢- تحليل الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى انهيار السلطنة.

٣- رصد الأبعاد الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية في عملية الانهيار.

٤- تقديم نموذج تفسيري لسقوط الممالك الإسلامية في وسط إفريقيا من خلال دراسة حالة وداي.

٥- المساهمة في توثيق جزء مهم من التاريخ الإفريقي الإسلامي.

رابعاً- تساؤلات الدراسة

سؤال الدراسة الرئيس ما الأسباب الرئيسة التي أسهمت في سقوط سلطنة وداي في الفترة م1909 من م؟1910 إلى

*** الأسئلة الفرعية**

١- ما الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في السلطنة قبل سقوطها؟

٢- ما طبيعة التهديد الاستعماري الفرنسي ودوره في إسقاط السلطنة؟

٣- كيف ساهمت الانقسامات الداخلية والصراعات على السلطة في إضعاف كيان الدولة؟

٤- إلى أي مدى يمكن اعتبار سقوط سلطنة وداي نموذجًا عامًا لانهيار الممالك الإسلامية الأخرى في وسط إفريقيا؟

٥- ما الآثار المباشرة لسقوط السلطنة على المنطقة سياسيًا وثقافيًا ودينيًا؟

*** منهجية الدراسة**

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لتتبّع الوقائع وتحليلها في ،سياقها ومنهج المقارنة التاريخية لمقارنة حالة وداي مع ممالك يستند .أخرى إلى المصادر الوثائق) الأولية الإدارية ،الفرنسية تقارير والمراجع (الرحالة الكتب) الثانوية والدراسات (الأكاديمية.

*** حدود الدراسة**

،م1910–1909 :الزمانية · المرحلة الحاسمة في السقوط.

سلطنة :المكانية · وداي ،نموذجًا مع إشارات للممالك المجاورة للمقارنة.

الموضوعية أسباب السقوط والانهيار ،فقط دون التوسع في تاريخ ما بعد الاحتلال

*** الإطار النظري والمنهجي**

١- تعريف المفاهيم الأساسية

الحضارة نتاج تراكمي لتجربة الإنسان في تنظيم حياته المادية ،والروحية تشمل عناصر سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تعبّر .ودينية عن قدرة المجتمع على الاستمرار والإبداع.

السلطنة نظام حكم يُدار تحت سلطة السلطان الذي يجمع بين السلطة الزمنية تتميز .والدينية بالسلطة ،المركزية والشرعية ،الدينية والجيش ،القوي والنظام الإداري الهرمي.

الانهيار عملية تفكك حاد لمنظومة حضارية أو كيان سياسي يفقد قدرته على قد .الاستمرار يكون داخليًا ،صراعات) أو (فساد ،غزو) خارجيًا لا .(استعمار يعني بالضرورة زوالًا ،تامًا بل قد يتبعه تحول أو إعادة تشكيل.

*** خلفية عن الممالك الإسلامية في إفريقيا**

انتشر الإسلام في إفريقيا عبر القوافل التجارية والدعاة والطرق نشأت .الصوفية ممالك كبرى في غرب ،غانا) إفريقيا ،مالي الساحل) وشرقها (سنغاي ،السواحلي السلطنة (العمانية ،دارفور) ووسطها تميزت .(وداي هذه الممالك بتبني اللغة ،العربية وإنشاء المساجد والمدارس ،القرآنية وتطبيق الشريعة مع الاحتفاظ بالتقاليد ،المحلية وتأثرها بالطرق الصوفية.

*** النشأة والتطور السياسي لسلطنة وداي.**

١- النشأة

تأسست سلطنة وداي في أوائل القرن السابع عشر على يد عبد الكريم بن جامع ،العباسي الذي قدم من منطقة الفونج في استطاع .السودان توحيد قبائل المنطقة وبواسطة

القبائل العربية إقام كيان إسلامي حوالي ،م1635 عام اتخذ من الشريعة مرجعية له.

٢– التطور السياسي

بلغت السلطنة أوج قوتها في القرن التاسع عشر في عهد السلطان محمد ،(م1858–1835) شريف الذي قوّى الجيش ووسع النفوذ التجاري ،والديني وأقام علاقات دبلوماسية مع الدولة العثمانية وسلطنة اعتمد .دارفور اقتصادها على تجارة العبيد والعاج والملح عبر ،الصحراء وكانت عاصمتها أبشي مركزًا تجاريًا مهمًا.

٣– التنظيم السياسي والإداري والديني

تولى السلطان السلطة المطلقة بمساعدة وزير وحكام قُسمت .أقاليم الدولة إلى وحدات ،إدارية واعتمدت الإدارة على اللغة كان .العربية للعلماء دور كبير في القضاء ،والتعليم وانتشرت الطرق القادرية) الصوفية التي (والتيجانية أسست زوايا للتعليم والخدمات الاجتماعية.

٤– بوادر الضعف

شهدت السلطنة في أواخر القرن التاسع عشر صراعات متكررة على ،العرش وتمردات ،قبلية وتدهورًا اقتصاديًا بسبب تراجع تجارة العبيد وتحول طرق التجارة ،العالمية إلى جانب التدخل الأجنبي المبكر.

*** الأسباب الداخلية للانهيار**

١– النزاعات الداخلية وصراعات الحكم

غياب نظام واضح لانتقال السلطة أدى إلى صراعات مسلحة بين أبناء الأسرة ،الحاكمة مما استنزف موارد الدولة وأضعف هيبة الانقسامات .المركز القبلية وتمرد حكام الأقاليم زاد من التفكك الداخلي.

٢– التدهور الاقتصادي

اعتمدت السلطنة على تجارة العبيد والعاج التي تراجع الطلب عليها سوء .دوليًا الإدارة المالية ،والفساد وتغير طرق التجارة نحو السواحل ،الأوروبية إلى جانب موجات الجفاف ،والمجاعات أدت إلى أزمة مالية حادة.

٣– الضعف العسكري والإداري

اعتمد الجيش على الولاءات الشخصية والقبلية دون تنظيم لم .مؤسسي تواكب السلطنة التطورات العسكرية ،الحديثة بينما كانت فرنسا تمتلك جيشًا منظمًا وأسلحة الجهاز .متطورة الإداري ظل تقليديًا قائمًا على ،المحسوبية وعجز عن تنفيذ إصلاحات جذرية

٤– العوامل الاجتماعية والدينية

تفكك النسيج الاجتماعي نتيجة ،الصراعات ولم يتمكن العلماء والطرق الصوفية من لعب دور موحد في .الأزمة فقدان الثقة في النظام جعل السكان أقل استعدادًا للمقاومة

*** الأسباب الخارجية للانهيار**

١– السياق الدولي والاستعمار الفرنسي

بعد مؤتمر ،(1885–1884) برلين سعت فرنسا لبناء إمبراطورية استعمارية متصلة من المحيط الأطلسي إلى المحيط كانت .الهندي سلطنة وداي تقف في طريق هذا ،المشروع فاستهدفتها القوات الفرنسية.

٢– الاستراتيجية الفرنسية

اتبعت فرنسا أسلوب التحالفات المحلية مع القبائل المعارضة ،للسلطنة وفرضت حصارًا اقتصاديًا لمنع وصول الأسلحة وتحويل طرق ،التجارة واستخدمت الدعاية لتبرير تدخلها بمكافحة في .الرق ،م1909 عام شنت حملة عسكرية بقيادة الكولونيل لارجو واحتلت العاصمة أبشي بعد معارك ،عنيفة وتوفي السلطان يوسف بعد ذلك.

٣– التفوق التكنولوجي والتنظيمي

تميز الجيش الفرنسي بالبنادق الحديثة والمدفعية والتنظيم ،المحكم بينما اعتمد جيش السلطنة على الأسلحة فشلت .التقليدية مقاومة السلطان يوسف بسبب الانقسامات الداخلية والخيانة وعدم تكافؤ القوى.

*** نتائج وتداعيات السقوط**

١– الآثار السياسية

انهارت المؤسسات الحاكمة ،التقليدية وألغي القضاء الإسلامي وحل محله قضاء فقدت .استعماري السلطنة سيادتها وأصبحت جزءًا إقليم" من تشاد ،الفرنسي "العسكري وتم تهميش العلماء والقادة الدينيين.

٢– الآثار الاقتصادية

تحولت طرق التجارة نحو الموانئ ،الساحلية وفرضت فرنسا نظامًا اقتصاديًا قائمًا على زراعة المحاصيل النقدية ،لصالحها وتم تهميش التجار المحليين.

٣– الآثار الاجتماعية والثقافية

عززت فرق" سياسة الانقسامات "تسد ،القبلية وتراجع دور المدارس القرآنية لصالح التعليم ،الفرنسي وأضعف الاستعمار المؤسسات الدينية لكنه لم يقضِ على الإسلام في المجال الخاص.

٤– استمرار الإرث الحضاري

رغم ،الانهيار بقيت الذاكرة التاريخية والمؤسسات المساجد) الدينية والمخطوطات (والزوايا والهوية المرتبطة بالسلطنة حاضرة في المنطقة.

*** مقارنة مع ممالك إسلامية أخرى**

١– سلطنة الفور في دارفور

نشأت في القرن السابع عشر وبلغت أوجها في القرن الثامن سقطت .عشر بيد القوات المصرية العثمانية عام ،م1874 ثم عادت لفترة وجيزة وسقطت نهائيًا بيد البريطانيين تشابهت .م1916 عام مع وداي في النظام السياسي المركزي والصراعات الداخلية والانهيار بفعل الاستعمار.

٢– إمارة سوكوتو

تأسست م1804 عام على يد الشيخ عثمان بن فودي في حركة إصلاحية سقطت .إسلامية بيد البريطانيين عام م1903 بعد مقاومة تشابهت .عنيفة مع وداي في الطابع الإسلامي والمقاومة الاستعمارية والانهيار في بداية القرن العشرين.

٣– أوجه الشبه والاختلاف

الاستعمار :الشبه · ،الأوروبي الصراعات ،الداخلية العجز عن مجاراة التحديث ،العسكري تأثر الاقتصاد بتحول طرق .التجارة الطبيعة :الاختلاف · سوكوتو) الدينية ،إصلاحية وداي ،(تقليدية العلاقة مع القوى اندماج) المجاورة أو ،(عزلة رد الفعل تجاه الاستعمار.

*** نتائج الدراسة**

١- تكامل سقوط :الأسباب سلطنة وداي نتاج تداخل عوامل ،صراعات) داخلية تدهور ،اقتصادي ضعف (عسكري تدخل) وخارجية (فرنسي.

٢- الأزمات الداخلية مهّدت الصراع :الطريق على الحكم والانقسامات القبلية وضعف الإدارة قلّص قدرة الدولة على المقاومة.

٣- التدخل الاستعماري استخدمت :حاسم فرنسا التفوق العسكري والتحالفات المحلية لإنهاء السلطنة.

٤- فشل غياب :التحديث التطوير العسكري والإداري جعل السلطنة عاجزة أمام القوى الاستعمارية.

٥- استمرار رغم :الإرث الانهيار ،السياسي بقيت الهوية الثقافية والدينية والذاكرة التاريخية حية.

*** توصيات الدراسة**

١- إعادة قراءة توجيه :التاريخ الدراسات الأكاديمية لتقييم تاريخ الممالك الإسلامية من منظور إفريقي .وإسلامي

٢- تعزيز الوعي إدراج :التاريخي هذا التاريخ في المناهج التعليمية لتعزيز الهوية.

٣- الحفاظ على الإرث دعم :الثقافي الزوايا والمخطوطات والمراكز الثقافية في مناطق مثل وداي وتمبكتو.

٤- تشجيع البحث مقارنة :المقارن تجارب الممالك الإسلامية في النشأة والانهيار.

٥- الاستفادة من مساعدة :الدروس صانعي القرار في تجنب أخطاء الماضي لبناء أنظمة أكثر استقرارًا.

٦- التوثيق حفظ :والرقمنة المخطوطات والوثائق رقميًا لحمايتها من الضياع.

*** الخاتمة**

أظهر أن الدراسة سقوط سلطنة وداي لم يكن حدثًا ،مفاجئًا بل نتيجة تراكمات سياسية واقتصادية وعسكرية تفاعلت مع التدخل الاستعماري تعكس .الفرنسي تجربتها نموذجًا لانهيار الممالك الإسلامية في وسط ،إفريقيا حيث كان الضعف الداخلي مدخلاً ،رئيسيًا وكان التفوق العسكري الأوروبي العامل ورغم .الحاسم الانهيار ،السياسي استمر الإرث الحضاري والديني ليشكل جزءًا من هوية المنطقة فهم .وذاكرتها هذه الأسباب يساعد في قراءة الحاضر واستشراف المستقبل.

*** والمراجع**

اولاً- المراجع العربية

أبو ،سليم تاريخ .(2000) .إ .م الممالك الإسلامية في غرب ووسط دار .إفريقيا الفكر.

إبراهيم الإسلام .(2002) .ع .ع في السودان وإفريقيا التاريخ :الوسطى والسلطة دار .والمجتمع الجيل.

الإدارة الفرنسية في تقارير .(1910-1900) .تشاد الإدارة الفرنسية في وثائق] تشاد الأرشيف .[أرشيفية الوطني ،الفرنسي باريس.

الحاكم الاستعمار .(2010) .م .أ الفرنسي في الوسائل :إفريقيا مجلة .والسياسات دراسات -45 ،(12) ،إفريقية 67.

حسن الطرق .(1999) .ف .ي الصوفية والدولة في .إفريقيا مركز الدراسات السودانية.

سحنون تاريخ .(1985) .أ سلطنة دار .وداي الأمة.
منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم .(اليونسكو) والثقافة
تقارير .(2005) حول التراث الثقافي في وسط
إفريقيا.

ثانياً– المراجع الأجنبية

African Historical Review.
Sudanic Africa: A Journal of Historical Sources.
The Journal of African History.